



روح الإنسانية تتألق في فلسطين

بقلم جيمس راوولي، منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية والمنسق المقيم
نشرت في جريدة القدس ، 19 أغسطس / آب 2014

يصادف اليوم ، اليوم العالمي للعمل الإنساني ، وهو مناسبة سنوية خصصتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لرفع مستوى الوعي العام بملايين الناس الذين يخاطرون بحياتهم لتقديم الطعام والمياه والمساعدات الأخرى لمن هم في حاجة ماسة إليها في الحروب والكوارث الطبيعية وغيرها من حالات الطوارئ.

والعنف ضد العاملين في مجال العمل الإنساني في أنحاء العالم مرتفع في كل الأوقات . ووصل عدد العاملين في مجال الإغاثة الذين قتلوا أو خطفوا أو أصيبوا بجروح خطيرة على المستوى العالمي إلى أعلى عدد مسجل على الإطلاق . وهذا أمر لا يمكن ببساطة القبول به وغير مبرر بالمرّة . ويظهر بحث جديد أنه في عام 2013، قُتل 155 عاملاً من العاملين في مجال الإغاثة وخُطف 134 آخرون وأصيب أكثر من 170 عاملاً بجروح خطيرة.

وأظهر الصراع الذي اندلع مؤخراً في غزة المخاطر التي يتعرض لها العاملون في مجال الإغاثة الإنسانية كل يوم، بالطريقة الأكثر مأساوية. وقتل في الأسابيع الستة الماضية، ما لا يقل عن 30 زميلاً من الفلسطينيين، بينهم 11 موظفاً بوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأنروا) و11 من العاملين في المجال الطبي وثمانية من رجال الإطفاء - كثير منهم قتلوا أثناء أداء واجبهم . وقُتل كذلك سبعة فنيين وهم يحاولون إصلاح البنية التحتية الأساسية للمياه والصرف الصحي . وأصيب أكثر من 70 من العاملين في مجال الإغاثة. وعلاوة على ذلك، تعرض 98 مبنى للأمم المتحدة، بينها مدارس لجأ إليها المهجرون الفلسطينيون و58 مستشفى وعيادة لحقت بها أضرار ودمرت في القتال- وتم استهداف بعضها على ما يبدو.

ان مقتل عامل واحد في مجال الإغاثة أثناء أداء واجبه كثير جداً. ومقتل أكثر من 30 عاملاً لا يمكن تحمله. يجب الاصرار على المحاسبة من أجل أولئك الذين قتلوا وأصيبوا وعن الأضرار والتدمير الذي تعرضت له المدارس والمستشفيات ومرافق الإغاثة الإنسانية الأخرى. وهذا مكون ضروري للجهود الأوسع نطاقاً لضمان المحاسبة عن الأرواح التي فقدت والمنازل التي دمرت والأضرار التي حدثت أثناء هذا الصراع.

لم يكن الرجال والنساء الذين قتلوا زملاء لنا وحسب، إنما كانوا أيضاً آباء وأمهات أبناء وبنات أصدقاء موضع ثقة وجيران طبيين، جميعهم قتلوا أثناء سعيهم وراء غريزة إنسانية أساسية وهي مساعدة آخرين بحاجة إلى مساعدة. ونحن نرثي فقدان هؤلاء الزملاء في اليوم العالمي للعمل الإنساني ونذكر شجاعتهم وعظمتهم والتزامهم نحو الإنسانية.

واليوم العالمي للعمل الإنساني مخصص أيضاً للإشادة بهؤلاء الذين لا يزالوا يجسدون هذه الروح الإنسانية ولا نحتاج إلى النظر لمكان أبعد من فلسطين لنرى هذا يتحقق.

ففي الأسابيع الستة المنصرمة، فتحت عشرات آلاف الفلسطينيين في قطاع غزة بيوتهم لتوفير مأوى لآخرين دمرت بيوتهم أو الذين فروا بحثاً عن الأمان. واضطروا لأن يتقاسموا بكرم طعامهم ومياههم ومسكنهم - رغم كونهم هم أنفسهم في وضع يئس. رأينا فلسطينيين في أنحاء الضفة الغربية يحشدون الموارد ويجمعون التبرعات والإمدادات المطلوبة مثل الملابس والأسرة والفراشات والحفاضات. وهذه الجهود دليل على الإحساس بخدمة المجتمع ومساعدة الآخرين والعطف وهو إحساس قوي في المجتمع والثقافة الفلسطينية. وهذه الروح الإنسانية تتألق في مواجهة المحاولات المتزايدة لإذلال الفلسطينيين واختزالهم في صور نمطية أو قتلى وجرحى بلا اسم وبلا وجه.

وكلما مضينا قدماً، فإن دور الفلسطينيين في الاستجابة إلى هذه الاحتياجات الإنسانية الملحة الناجمة عن الصراع ستظل حاسمة. ولم يسبق مثيل لحجم الدمار والقتل والتدمير في قطاع غزة . ونظّل نحن، الأمم المتحدة وشركاؤنا ثابتون في التزامنا بمساعدة سكان غزة، لضمان حصولهم، في هذا الوقت الأكثر صعوبة، على المساعدات التي يحتاجونها بشدة . ونحن في الميدان نزيد من استجاباتنا بتقديح الطعام والمياه والرعاية الصحية للعائلات في أنحاء قطاع غزة. ناشدنا المجتمع الدولي تقديم 367 مليون دولار لتنفيذ استجاباتنا العاجلة المنقذة للحياة المرتبطة بالحماية والأمن الغذائي والصحة والمياه والصرف الصحي وكذلك مستلزمات الإيواء مثل الفرشات والأغطية وأدوات النظافة الشخصية. وستواصل جهودنا لأسابيع وأشهر قادمة.

ومع هذا، لا يمكن لهذه الجهود أن تستمر إلا إذا توقف العنف وتوقف بشكل دائم . ولا يزال العاملون في مجال الإغاثة الإنسانية في الميدان وغالبيتهم فلسطينيون يخاطرون بحياتهم لتوصيل المساعدات؛ إنهم يواجهون تحديات كبيرة من بينها المخاطر التي تشكلها آلاف الذخيرة التي لم تنفجر المتناثرة في مناطق سكنية وريفية في أنحاء غزة . ففي الأسبوع الماضي فقط، فقد ثلاثة من ضباط الشرطة المتخصصة الفلسطينيين وثلاثة مدنيين حياتهم عندما انفجرت ذخيرة غير مرفجرة أثناء محاولات لإزالتها.

ويتعين علينا عند الإشادة بزملائنا الذين فقدوا حياتهم ولعشرات آلاف الفلسطينيين الذين يعملون لمساعدة الآخرين المتضررين من الصراع المدمر أن نصرخ بصوت عالٍ وواضح لنقول كفى – وأن دائرة العنف هذه يجب أن تتوقف . يجب أن نطالب بأن يوافق أطراف الصراع على وقف دائم لإطلاق النار وضمان إنهاء الحصار على نحو يضمن حقوق الفلسطينيين ويعالج مخاوف إسرائيل الأمنية المشروعة.

في ذكرى زملائنا وما يقرب من ألفي شخص آخرين فقدوا حياتهم أثناء هذا الصراع ، يجب أن نغتنم الفرصة لإحداث تحول يؤدي إلى تغيير – من الموت واليأس إلى الأمل والفوصة. يجب أن نطالب بأن يتمكن الفلسطينيون، وكذلك الإسرائيليون، من العيش متحررين من الخوف وبكرامة وبمساواة. الروح الإنسانية لا ترضى بأقل من هذا.